المبحث الثاني

اليهـود عبر العصـور

مـن خلال الدراسة للمفاهيم العامة يتبين لنا حداثة العهد الـذي بـدأ التعامل به مع مصطلح اليهوديـة، ولم تفلح محاولات اليهود أنفسهم لربط التاريخ التوارتي القديم بتاريخ هذه الديانة، فضـلاً عن الأدلة الدامغة التـي أثبتت عكس ما يدعي اليهود بأن مـا بين أيديهم من تـوراة أو تعاليم إنما هي ما أخذوه عن رسالة النبـي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما كانت دراستنـا من الناحية العقائدية قـد بينت الحقائق من الجانب الديني فـنرى من الحاجة الماسة أن نوضح ذلك تاريخيًّا، إذ إن ربط تاريخ أمة مع عقيدتها وأصل تلـك العقيدة يعطي موضوعًـا متكاملًا علميًّـا، ولاسيما في حال تطابق الدراسات التاريخية مع الحقائق الدينية.

ونحـن قد توصلنا إلـى أن اليهود الذين اعتنقـوا أو الذين انتسبوا إلى الديانة اليهودية كانوا ممن انتسب إلى مملكة يهوذا الجنوبيـة[1]، وحين نرجع إلى تاريخ هـذه المملكة فإننا سوف لن نختلـف مع أحد بأنها نشأت نتيجـة انقسام مملكة إسرائيل إلى

(١) همـو، عبد المجيد، جذر اليهـود أمام النقد التاريخي، دار الحافظ، دمشق، سوريا، ١٩٩٩، ص ٩٠.

شماليـة سميـت مملكـة (إسرائيـل)، وجنوبيـة سميت مملكة (يهـوذا)، وهذا حدث في أواخر النصف الثاني من الألف الأول قبـل الميلاد، أي بعد ٩٧٥ق.م؛ وهذا الحدث جاء بعد بعثة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمدة ليست بالقصيرة، وعليه فتاريخ اليهود هنا يجب أن لا ترجع أصوله إلى أبعد من هذه الحقبة.

وقبـل أن نتحدث عن التاريخ اليهودي آنـف الذكر، نود أن نرجع إلـى الوراء لنعطـي دراسة طبوغرافيـة للمنطقة العربية التي تعد مسـرح الأحداث؛ لنزيل اللبـس التاريخي الذي سيمر بنا من خلال معالجة الموضوع.

إن ادعاء السامية مـن قبل اليهود يُلزمنا القول بالحقائق الآتية:

١- إن الوجـود العربـي كما هـو ثابت موغـل بالقدم، ويمتد إلـى عشرة آلاف عـام على الأقل وقبل اخـتراع الكتابة، ولم يُعـثر في أي من المكتشفـات الآثارية في المنطقة على مصطلـح (السامية) في تلك الحقبـة الزمنية الواردة، وإن المصدر الوحيد لخارطة النسب السامي هي مدونات التوراة التي نقلها مدونها من تراث المنطقة العربية[1].

(١) داود أحمد، العـرب والساميون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١، ص ٦٣.

٢ - إن سام حسب خط النسب هو ابن نوح الذي أجمع المؤرخون على أنه عاش بحدود سنة ٣٠٠٠ق.م، وعليه فإن العرب الذين توزعوا على الأرض العربية وأقاموا مدنهم فيها من أعالي الفرات إلى أعالي النيل، ومن الخليج إلى البحر منذ الألف التاسع ق.م. إن هؤلاء سابقون لسام بن نوح، ومن ثم فإنه لايصح أن نعدهم ساميون؛ إذ لا ينسب الأجداد إلى الأبناء، وإنما العكس هو الصحيح، ويذكر لنا الطبري أن هؤلاء الأجداد وأحفادهم كانت مساكنهم جزيرة العرب، ومنهم عابر وعليم آشور وأفحشاد ولاوذ وآرام؛ حيث كان موطنهم المجدل سرة الأرض، وهي ما بين ساتيدما إلى البحر، وما بين اليمن إلى الشام، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة البيضاء فيهم؛ (والنبوة) هي بيت القصيد الذي دفع أتباع الديانات الثلاثة للاهتمام بنسب الأنبياء، وكان جل اهتمامهم بنسب فروع سام ولاسيما فرع (آرام) وأولاده (جديس وجاشر -وهو أبو ثمود- وعبيل وعوص -وهو أبو عاد-، وجميع هؤلاء أكدت المصادر أنهم من العرب البائدة[١]، أما ماش

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨، ص ١٢٠ - ١٢٨.

ابـن آرام بن سام وهو أبو النبيط؛ حيث كان مسكنهم في كوثـى عند باب المحطة في شبـه جزيرة العرب[1]. ويقول ابن الأثـير: «كانوا عربًا يتكلمـون بهذا اللسان المضـري، وكانـت تقول لهـذه الأمم ولجرهـم العرب العاربـة؛ فكانـت عـاد بهذا الرحـل إلـى حضرموت، وكانـت ثمود بالحِجْـر بين الحجاز والشـام إلى وادي القرى، ولحقت جديس بطسم، وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين، واسم اليمامة إلى ذلك (حو)، وسكنت جاثـم عُمان، والنبط من ولد نبيـط بن ماش بن آرام بـن سـام»[2]. ويقول الطـبري: «فلما هلكـت عاد قيل لثمـود آرام أو إرم، فلمـا هلكـت قيل لسائـر بني آرام منهم النبيط»[3].

٣- إن إسماعيـل هو ابـن إبراهيم البكر مـن هاجر، وإن إسحـق ولده مـن سـاره، وإسماعيل هو الجـد الأكبر لعدنـان الذي هو الجد الأكـبر لهاشم، الذي هو الجد الأكبر لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) داود، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(٢) ابن الأثير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠ – ١٢٨.

(٣) الطـبري، أبو جعفر محمد بن جرير، قصص الأنبياء، تقديم مصطفى عبد القادر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١٨.

وفي لسان العرب في باب (كوثى) أن عليًّا بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل من أنتم نسبًا؟ فقال: نحن قوم من نبيط في كوثى. وهذا تأكيد على نسب سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى نسب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى نبيط بن ماش بن آرام بن سام ابن نوح[1]. أما إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام فقد ولد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو إسرائيل أي عبدالله، وله الأسباط الاثنا عشر وجميعهم من العرب الآراميين، وإلى ذلك الحين ليس على الأرض ثمة شيء اسمه يهودي أو يهودية[2].

إذن فالسامية بدعة يهودية حديثة ولدت على يد اللاهوتي اليهودي النمساوي (شلوتز)، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في محاولة لإضفاء القدسية على لغة (الكتاب المقدس)، مفترضًا أن ثمة (اللغة العبرية) هي اللغة التي نزلت بها التوراة، وهذا عندما ألهب حماس كثير من المستشرقين لدراسة اللغات الشرقية القديمة، ثم ما لبث أن عبر بنظريته وفكرته القائلة: «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين إلى بلاد العرب جنوبًا سادت لغة واحدة؛ ولهذا كان السومريون والبابليون والعبرانيون شعبًا واحدًا يتكلم اللغة السامية»[3].

---

(١) ابن منظور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٩.

(٢) داود، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ – ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥.

ثم ما لبث اللاهوتيون اليهود في بداية القرن التاسع عشر أن يتلقفوا هذه الدعوة أو البدعة ويضعوا نصب أعينهم تبني هذه (الفرية) ونشرها، وأخذوا على عاتقهم كتابة تاريخ الشرق العربي القديم والإسلامي بصورة يبرزون فيها ما دعوه بالعبرانيين واليهود، ويسفهون العرب وتاريخهم ومحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن الكريم، وكان من أبرز هؤلاء المستشرق الألماني اليهودي (إبراهام جيجر) والمستشرق الروسي اليهودي (دانيال سولسون) وآخرون[1].

بعد ذلك قامت مؤسسات ومنظمات استشراقية كان ديدنها تشويه التاريخ العربي الإسلامي والنيل من الحضارة العربية الإسلامية وتهميش دورها في حياة البشرية، فضلًا عن التزوير الفادح في تفسير أحداث التوراة وفي جغرافيتها؛ ليتحول التاريخ العربي إلى تاريخ عبري أو تاريخ دولة عبرية مزعومة.

ودلائل أخرى يمكننا الاعتماد عليها بخصوص المغالطات والتزوير اليهودي لتاريخ المنطقة، وإضفاء الوجود التاريخي والديني وتوارث الحضارة، فالتسميات التي يتشدق بها مدونو التوراة لا تعد حقيقية، أما ما هو واقع فنرى أن القبائل التي

(١) بوكاي، موريس، (دكتور)، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨١، ص ٢٤٦ – ٢٤٩.

سكنت المنطقة العربية بمـن فيهم البدو وأنصاف المستقرين أو المدن الزراعية تتمثل بـ:

١- بقايا الآراميين.

٢- بعض العشائر من أبناء حام.

٣- عشائر بني لاوذ بن سام[١].

يقول العـالم الألماني (وينكلر) في مواقع تلك العشائر: «إن أرض كوش تقابل مصر التي هي في القسم الشمالي الشرقي من جزيـرة العرب، وعلى هذا فإن ذكر (مصـر وكوش) في التوراة لا يقصـد بها الحبشة ووادي النيـل؛ بل يقصد فيهما مكانين في جزيـرة العرب». ويعلق على هذا القول الدكتور جواد علي بقوله: «فقـد جاء وينكلر بأمثلة مـن العهد القديم ذكر أنه من الصعب أن يكـون المـراد بها مصـر أو الحبشة، وقد ألـف وينكلر رسالة بعنوان (مصر وملوحا ومعين) بيّن رأيه في أن مصر المذكورة في التـوراة هي في بلاد العرب لا في إفريقيـا». ويؤكد الدكتور جواد علـي بأن «علماء الآثار في جميـع أرجاء الوطن العربي لم يعثروا على ما يدعم ادعاءات أو أقوال اليهود، وأن ما ورد محض تزوير وتضليل تدحضها التناقضات التوراتية الواضحة»[٢].

---

(١) الطبري مصدر سبق ذكره، ج١ ص ٨١.

(٢) علي، جواد، (دكتور) مصدر سبق ذكره، ص١٩٧.

ثم إن النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبٌ لسلسلة طويلة من الأنبياء والعرب، وقد تطابقت سيرة حياته واسمه وكنيته لدى الدراسات كافة، فلم نجد ما يطابق ادعاءات اليهود التي تقول بصلتهم به دينيًّا أو تاريخيًّا، وأن الأحداث المتسلسلة بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر واقع سواء بما يخص هجرته وأسبابها أو علاقته بأرض كنعان والحالة الدينية التي كانت سائدة في حياته، وكل هذه المعلومات واضحة من دون لبس حتى ظهرت اليهودية في بابل؛ مما يجعل اليهود خارج دائرة التاريخ الخاص بتلك الحقبة الزمنية المزعومة.

ونعود إلى القول أن بداية التاريخ اليهودي هو استقرار سبايا دول يهوذا على يد نبوخذنصر في أواسط الألف الأول قبل الميلاد في بابل، وقيام التجمع اليهودي الديني.

وفي ذلك يقول الباحث شفيق مقار: ففي ذلك الزمان وفي ذلك المكان صنعت الديانة اليهودية، آخذة عن المسمى السياسي للكيان الذي دعا إلى إزالة البابليين عن الوجود باسم مملكة يهوذا، وافتعل القوم تجمعًا سائبًا من عشائر بدوية أطلق عليها روائيًا اسم الشعب، كما أعطوا ذلك الشعب نسبًا خياليًا بغية إعطائه عمقًا تاريخيًّا وأصلًا عرقيًّا ودينيًّا عن طريق الروايات

وإن انحـدر من أصلاب أسلاف عريقـين سموا بالآباء في سياق عمليـة شاسعـة من إعـادة النصوص وتأليـف لنصوص منشئة للاهوتيـة، وقـد بدا لمـن اصطلحـوا في المهمـة أنهـم كانوا عن طريقها ينفذون ما أمكن العمل على إنقاذه»[1].

ومن خلال دراسة رأي (مقار) نستنتج الآتي:

١- اليهودية نشأت بحسب رأيه في القرن السادس.

٢- أكد بأن النصوص مؤلفة في هذا العهد.

٣- التأكيـد على أن لا علاقة لهـم بالآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب.

٤- لم تكن كلمة اليهودية كدين معروفة قبل هذه المدة[2].

أمـا الدكتور شلبي فيقـول: «وحقيقة القـول أن اليهود بعد أن انحرفـت اعتقاداتهـم وطباعهم تخلصوا مـن أسفار موسى الحقيقيـة؛ لأنهـا كانـت تختلف مع مـا يريدون مـن تاريخ ومن عقيدة»[3].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨٥.

(٢) همو، عبدالمجيد، هل اليهودية ديانه سماوية؟ دار غار حراء، دمشق، سوريا، ١٩٩٩، ص ٨٩٢.

(٣) شلبـي، أحمد، (دكتور)، مقارنة الأديان (اليهودية)، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢٩.

ويورد شلبي بعض النصوص التي تؤكد كلامه في ذلك:

١- أسفار موسى تقرر أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي جاء بها وأنزلت عليه؛ بل العكس؛ حيث ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الآتي:

أ- جاء في سفر التثنية: «فمات موسى عند الرب في أرض موآب ولم يعرف إنسان قبره». فكيف يكتب موسى عن نفسه؟

ب- جاء في سفر التكوين: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أرام ملك بني إسرائيل».

ج- إن سفر الخروج لم يكتب إلا بعد مدة طويلة من الأحداث الواردة فيه.

٢- يرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا، وبينها أكثر من ثمانية قرون.

٣- سفر القضاة ينسبه بعضهم إلى فنحاص، وبينه وبين عزرا تسعة قرون.

٤- سفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي يروى أنه عاش دانيال فيه، أي عندما سقطت بابل في يد (كورش الفارسي) عام ٥٣٨ق.م.

لا بل كتب هذا السفر بعد ثلاثة أو أربعة قرون للأسباب الآتية:

أ- يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية، مع أن اليهود في الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونان ولا حكت أسماعهم للغة اليونانية.

ب- فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر.

ج- اقتبس أقوالاً من أرميا و حزقيال و زكريا مع أن هؤلاء عاشوا في أزمان متفرقة ومتباعدة[1].

مما تقدم من الأدلة والبراهين التي أثبتت لنا حقيقة التاريخ اليهودي نقول: إن من عاد من هؤلاء المتهودين إلى فلسطين وبعد سقوط بابل على يد كورش الفارسي لم يفلح هؤلاء في بناء دولتهم اليهودية أو ينجحوا في إقناع العالم الذي حولهم بأن ما بين أيديهم هي الديانة الموسوية أو الشريعة السماوية التي جاء بها النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

(٢) عبدالحليم، مصطفى كمال، (دكتور). وراشد، سيد فرج د(كتور)، اليهود في العالم القديم، دار القلم، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٦٩.